

## جدلية العلاقة بين الديني والاجتماعي في مفهوم العدالة في الفكر المصري القديم

دعاء عبد النبي حامد

جمهورية مصر العربية

المخلص:

مما لا شك فيه أن فلسفة الأخلاق أحد أهم مباحث الفلسفة لما لها من ضرورة قصوى ودور فعال في البحث عن القيم الأخلاقية، والتمييز بين الحق والباطل. والجدير بالذكر أن فلسفة الأخلاق قديمة قدم الوجود الإنساني، فقد عرف الإنسان القديم في قرارة نفسه التميز بين الفعل الجيد والفعل السيئ ومدح كل ما هو فضيلة وذم كل ما هو رذيلة، ومن ثم أصبح الإنسان القديم صاحب وازع خلقي، يظهر هذا الحس الأخلاقي بوضوح في الفلسفة المصرية القديمة متمثلة في الفضيلة ماعت، والتي تعتلي سلم القيم في مصر القديمة، والتي لها بالغ الأثر في حياة الفرد والمجتمع المصري القديم. لذلك كان هناك ضرورة ملحة للنظر في الأخلاق المصرية القديمة من خلال مفهوم العدالة والبحث عن الأسس الرئيسية التي تركز عليها فلسفة الأخلاق المصرية القديمة.

الكلمات المفتاحية: فلسفة الأخلاق – مصر القديمة – الدين – العدل – القانون – المساواة - النظام

الكوني

## متون

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية / جامعة سعيدة - د. مولاي الطاهر

### Abstract

There is no doubt that the philosophy of ethics is one of the most important topics of philosophy because of its extreme necessity and effective role in the search for moral values, and the distinction between right and wrong. It is worth noting that the philosophy of ethics is as old as human existence, the ancient man knew in his heart the distinction between good action and bad action and praise everything that is virtue and vilify everything that is vice, and then the ancient man became the owner of moral scruples, this moral sense appears clearly in the ancient Egyptian philosophy represented in virtue Maat, which tops the ladder of values in ancient Egypt, which has a great impact on the life of the individual and the ancient Egyptian society. Therefore, there was an urgent need to consider ancient Egyptian ethics through the concept of justice and to search for the main foundations on which the philosophy of ancient Egyptian ethics is based.

Keywords: philosophy of ethics - ancient Egypt - religion - justice - law - equality - cosmic order

## متون

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية / جامعة سعيدة - د. مولاي الطاهر

مقدمة

أن أعظم ظاهرة أساسية في تقدم حياة الإنسان هو نشأة المبادئ الخلقية وظهور الفضيلة الأخلاقية، والتي تعد تحولاً في حياة الإنسان يخبر به التاريخ على أنه ليس وليد اليوم. وقد يكون من الضروري أن نعيد الإشادة بتلك القيم القديمة التي أصبحت في زوايا الإهمال لاستخفافنا بها في ذلك الوقت الذي أصبح فيه الجيل الحديث ينبد الأخلاق الموروثة ظهرياً. ويتبادر إلى الأذهان تساؤل حول كيف أصبح الإنسان الذي بدأ حياته متوحشاً مجرداً من الأخلاق صاحب وازع أخلاقي؟ وكيف خضع له عندما شعر به وتلق وحية؟ تمدنا الوثائق القديمة بالجواب على هذه الأسئلة، فهي تكشف لنا عن نشوء أقدم مثلاً للسلوك وما نتج عن ذلك من ظهور عصر الأخلاق. فقد نهض الإنسان إلى الأخلاق من وحشية عصر ما قبل التاريخ على أساس التجارب الشخصية، وهذا العمل كان انتقالاً من عالم يجهل الأخلاق إلى دنيا ذات قيم عليا تسمو على المادة، أي إلى دنيا تشعر لأول مرة بمثل تلك القيم ولأوامرها تشعر بالأخلاق وتسعى للوصول إليها. لقد مرت على الإنسان فترة من الزمن كان لا يشعر فيها مطلقاً بعنصر السلوك وذلك حينما كان كل ما يأتيه من الأعمال عن طريق الغريزة، لذلك يعد شعوره لأول مرة بالسلوك أو الأخلاق تقدماً هائلاً في حياة البشر، وقد صار هذا التقدم أعظم خطراً عندما سما الإنسان إلى درجة يدرك فيها أن من السلوك ما يستحسن وما يستهجن، فكان ظهور هذا الإدراك خطوة نحو انبثاق الضمير فلما أخذ في النمو أصبح قوة اجتماعية عظيمة .

لقد كانت لأخلاق المصري القديم بالغ الأثر في حياته حيث كانت هي العامل الأول في رقي هذا المجتمع واستقراره وتقدمه لفترة طويلة من الزمن.

ولما كانت الأخلاق هي أعظم تقدماً حققه الإنسان فإن دراستنا سوف تنصب على أهم المعاني والمبادئ الأخلاقية التي عرفها الإنسان والتي كافح من أجلها أثناء غيابها ألا وهو مفهوم العدالة) ماعت. (Maat إشكالية الدراسة: هل مفهوم الماعت مفهوم ديني أم أخلاقي أم أنه يحتوي على دلالات ميتافيزيقية تتضمن الديني والأخلاقي معاً؟

وهل لعب هذا المفهوم دوراً في رقي المجتمع المصري القديم أم ظل جامداً دون تطور في الشخصية المصرية؟

وسوف تحاول الدراسة الإجابة على تلك التساؤلات مستخدمين في ذلك المنهج التاريخي التحليلي.

أولاً: حول معنى المفهوم (العدالة)

يعد مفهوم العدالة أحد المفاهيم الأساسية التي تميزت بها فلسفة الأخلاق المصرية القديمة. لكن ما المقصود بمفهوم العدالة؟ وهل هناك معنى محدد له؟

## متون

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية / جامعة سعيدة - د. مولاي الطاهر

في واقع الأمر لم يكن هناك إجابة متفق عليها من قبل الباحثين في علم المصريات، فكلمة ماعت تستخدم للدلالة على أكثر من معنى، فقد استخدمها المصريون للدلالة على الخير أو العدل أو الإصلاح أو الحقيقية، ولعلها كانت تتضمن كل الأفكار الأربعة. (توملين، ب ت، ص 52)

كلمة ماعت أُطلقت كصفة للحكم الصالح أو الإدارة الصالحة ولكن لا يمكن ترجمتها بكلمة حكم أو إدارة أو قانون، فإن ماعت كانت الصفة الملائمة لتلك الأشياء عند تطبيقها، فكان لتلك الكلمة نفس المرونة التي كانت لكلمة حق أو عدل أو صدق أو شيء منتظم. فكانت ماعت بمثابة القوة الكونية للانسجام والاستقرار، نزلت منذ خلق العالم كصفة كونية منظمة للظواهر التي تم خلقها. وكان من الضروري أن يعاد تثبيتها عندما يتولى عرش مصر أي ملك - إله، ففي المناظر المنقوشة على جدران المعابد نرى الملك يقدم ماعت كل يوم للآلهة الآخرين كدليل ملموس على أنه قائم بوظيفتها الإلهية نيابة عنهم، كأنما كان هناك شيء لا يتغير أبدي عالمي يحيط بماعت .

وإذا ترجمت بمعني نظام؛ فقد كانت هي النظام في المخلوقات من الجانبين المادي والروحي تقررت منذ البداية وهي ثابتة وصالحة لجميع الأزمان والعصور.

وإذا ترجمت بمعني عدل؛ فإنها العدل بمعناه القانوني في أعمال الإدارة وهي الصلة العادلة الملائمة لما في هذا العالم من ظواهر بما في ذلك الصلة بين الحاكم والمحكوم.

وإذا ترجمت بمعني الصدق؛ فيجب ألا يغيب عنا أن الأشياء كانت في نظر القدماء صحيحة لا لأنها كانت للاختبار، ولكن لأنهم كانوا يعتبرونها أشياء في أماكنها الصحيحة والملائمة حسب النظام الذي خلقته الآلهة وأقروه وعلى ذلك تكون صفة مخلوقة وموروثة كونتها التقاليد وجعلت منها فكرة للاستقرار القائم بواجبه يثبت ويؤيد الحالة الراهنة وخاصة حكم الملك. (ولسون، ب ت. ص 100)

إن الترجمة الدقيقة للكلمات التي تستخدم للدلالة على عدد كبير من المعاني أمراً صعباً، فلفظة ماعت يمكن ترجمتها في سياق نص من النصوص بكلمة نظام وفي سياق آخر بكلمة عدالة. ومثلما يصعب تحديد معنى معين للماعت يصعب أيضاً تحديد بداية ظهورها تاريخياً. يذكر برستيد أن ماعت نشأت في أول أمرها بمثابة أمر شخصي خاص بالفرد للدلالة على الخلق العظيم في الأسرة أو في البيئة التي تحيط بالإنسان ثم انتقلت بالتدرج نحو طريق أوسع فصارت تمثل الروح والنظام للإرشاد القومي والإشراف على شؤون البشر، فالتصور المصري للنظام الإداري والخلقي العظيم الذي أطلق عليه اسم ماعت والذي صار أسى مظهراً للحضارة المصرية القديمة كان نتيجة للتطور الاجتماعي الحكومي لمدة ألف سنة من حياة أمة عظيمة موحدة ثابتة منظمة كانت تخطو دائماً في خلالها نحو الارتقاء والتقدم. (برستيد، 1997. ص 158)

## متون

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية / جامعة سعيدة - د. مولاي الطاهر

ويخبرنا برستيد أيضاً أن أول ظهور واضح إلى حد ما لمفهوم الماعت في المجال الأخلاقي كان مرتبطاً بعصر الأهرامات إلا أن الكلمة نفسها قد انحدرت من الأزمان الغابرة السابقة على ذلك العصر. فمنذ عهد الدولة القديمة عرف المصريون مسألة الحق والباطل وبحثوا في وجوهها، ففي دراما منف التي نعرفها عن نسخة متأخرة من العصر الحديث لكن محتواها يرجع إلى عصر قديم جداً. (سارتون، ب ت، ص 129) فقد عدها برستيد أول بحث فلسفي وصل إلينا من العالم القديم، فهي محاولة لتفسير أصل جميع الأشياء بما في ذلك نظام العالم الأخلاقي. (برستيد، ص 52)

لقد سعي فلاسفة منف لإقامة نمط مقدس للسلوك الأخلاقي فيقول النص "إن الحياة تمنح للمسالم ويمنح الموت للمذنب"، وعلى الرغم من غموض هذه العبارة إلا أن التعريف الذي يلها يوضحها إلى حد ما، فالمسالم هو الذي يفعل ما هو مرغوب فيه أما المذنب فهو الذي يفعل ما هو مكروه. لقد كان المصريون أول أناس بل أول شعب يناقش تلك المشاكل الأخلاقية مشاكل الخير والشر مطبقة على الحياة ذاتها، ومشاكل الصواب والخطأ مطبقة على السلوك البشري. (توملين، ص 30، 42)

لقد كان المصريون في عهد الدولة القديمة لديهم إصرار على اتباع مبادئ الماعت، وفي أثناء الألف الثالث قبل الميلاد بدأ المفكرين المصريين يجدون في الماعت ما يعبر عن الأمور التي جاءت وليدة التجارب القومية التي كان لها أثرها في حياة الأمة ومع أن هذه الكلمة العظيمة لم تفقد شيئاً من دلالتها على صفات الإنسان الخلقية الشخصية، فإنها صارت تعبر أيضاً في نظر عقول رجال الفكر في الدولة القديمة عن معنى النظام القومي أي النظام الخلقى للأمة والكينونة التي تسير تحت سلطان إله الشمس الذي ما كان له أن يستمر بدون الماعت. (برستيد، ص 156)

إن الآلهة أنفسهم لم يكونوا بمعزل عن الخضوع للماعت، مما يوحي بأن الماعت أصبحت تمثل القانون الكوني الشامل الذي ينطبق على سائر الموجودات بشراً كانوا أو آلهة ونتيجة ذلك فكانوا جميعاً يكرهون الكذب (عدم الحقيقية)، ومن هنا كانت أهمية هذا القانون وقداسته في حياة المصريين. (Frankfort, 1961, p.77)

وبانتهاء عصر الدولة القديمة بعد موت الملك بيبي الثاني حوالي عام 2180 ق.م ، سادت الفوضى وقامت الأسرتان السابعة والثامنة، ولم يزد حكم الأسرتين على الأرجح على خمسة وعشرين عاماً وكان يتتابع فيها ملوك ضعفاء، مما يعني أن الفترة الفاصلة بين الدولة القديمة والدولة الوسطى يسودها الفوضى وعدم الاستقرار على أن أستقر الوضع مرة أخرى في الدولة الوسطى، وأصبحت ماعت تعني نوعاً من المساواة أو الديمقراطية بين البشر وقد أدى هذا الاتساع في مفهوم الماعت دون أن تفقد شيئاً من دلالتها

## متون

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية / جامعة سعيدة - د. مولاي الطاهر

الأصلية القديمة، إلى أن تصبح مقابلة للفوضى باعتبارها النظام أو التوازن وللظلم باعتبارها العدل وللزيف باعتبارها الحق). ولسون، ص 186. برستيد، ص 157 (Frankfort, 74).

تلك المساواة بين البشر نجدها في أحد نصوص الدولة الوسطى يقول فيه الإله:

"لقد فعلت أفعال أربعة في الأفق، الأول صنعت الرياح الأربع لكي يتنفس منها كل إنسان كزميلة. الثاني صنعت مياه الفيضان العظيمة لكي يكون للفقير حق فيها كالعظيم. الثالث صنعت كل إنسان مثل غيره من الأناس ولم أمر لهم بأن يفعلوا الشر غير أن قلوبهم انتهكت حرمة ما قلت. الرابع صنعت قلوبهم بحيث تكف عن نسيان الغرب لكي تقدم القرابين المقدسة للآلهة الأقاليم" (فرانكفورت، 1982، ص 127)

من النص السابق تتضح المساواة التامة بين البشر في كل شيء، كما أن الفوارق الاجتماعية ليست جزءاً من خطة الله وأن على البشر وحدهم تحمل هذه المسؤولية، كما يتضح أيضاً أن مفهوم العدالة اتخذ بعداً آخر هو في جوهره سياسي اجتماعي. لقد ظل البعد الأسري للدلالة الخلقية للماعت قائم عبر العصور بجانب ما جد من دلالات حين أصبحت الماعت هي النظام الخلقى للعالم بأسره فيما بعد، ثم امتد سلطانها ليصبح في أعلي سلم القيم.

بعد انتهاء الدولة الوسطى (الأسرة الثانية عشرة) سادت البلاد فترة أخرى من الفوضى إلى أن أستقر الوضع مرة أخرى في عهد الدولة الحديثة (الأسرات 18 – 20)، ومن ناحية العرف الرسي يمكن القول إن مصر لم تتغير مطلقاً، فقد كانت تلتزم دائماً جادة الماعت التي أعطاهها لها الآلهة منذ البداية. (سارتون، 129. ولسون، ص 285)

وفي عهد الدولة الحديثة وعلى وجه الخصوص في عهد الأسرة العشرين بدأت السرقات وتراخي الموظفين في العمل وقد بلغ حداً مروعاً وكذلك انعدمت الأمانة، لقد بعدت مصر كثيراً عن مثلها الأعلى في الماعت الذي كانت تشيد بها في عصر الدولة الوسطى، كما اختفى كل أثر للوعي الاجتماعي والاهتمام بمصالح الجماعة أو الاستقامة للموظفين. إن القصة الطويلة لسرقة المقابر في الأسرة العشرين ليست إلا قصة كبار الموظفين الذين يراوغون في تأدية واجهم لأنهم يخبئون نفعاً خاصاً من تلك المراوغة، فقد كان ذلك ابتعاداً ساخراً عن الماعت مع الاحتفاظ بقدر قليل من صورتها ليكون مظهرها فقط ليهر الناس عند الاطلاع عليه. (ولسون، ص 443، 454)

إن ما سبق بمثابة عرض تاريخي لمفهوم الماعت والتطورات التي لحقت به، لكن هل هذا المفهوم ديني خالص أم أنه اجتماعي خالص أم أنه مزيج بين الديني والاجتماعي؟ وما هي العلاقة بين الدين والأخلاق في مصر القديمة؟

## متون

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية / جامعة سعيدة - د. مولاي الطاهر

يشرح مورينز في كتاب الديانة المصرية؛ أن الدين المصري هو الركيزة الأساسية التي قامت عليها الحضارة المصرية، غير أنه ترك بصماته الواضحة على مظاهر الفكر المصري القديم (Morenz, 1973). (p.6) إلا أن توملين يرى أن مفهوم العدالة (ماعت) أقدم من الجدل الحكيم اللاهوتي لكهنة هليوبوليس، لأن الفكر الأخلاقي لا بد وأنه سبق الفكر اللاهوتي بأمد طويل. (توملين، ص 52)

يتفق برستيد مع توملين من أن فجر المبادئ الأخلاقية نبع من داخل الإنسان ذاته، إلا أنه لا توجد قوة أثرت في حياة الإنسان القديم مثل قوة الدين لأن تأثيرها يبدو واضحاً في كل جوانب نشاطه، ولم يكن أثر هذه القوة في أقدم مراحلها الأولى إلا محاولة بسيطة يتعرف بها الإنسان على ما حوله في العالم ويخضعه بما فيه الآلهة لسيطرته، فأصبح وازع الدين هو المسيطر الأول عليه في كل حين على أن الدين لم يمس حياته في جميع جوانبها، بل أن الحياة والفكر والدين امتزجت عنده بعضها ببعض امتزاج لا انفصام له ليتكون منها كتله واحدة تتداخل بعضها في بعض مؤلفة من المؤثرات الخارجية والقوى الإنسانية الباطنة. في الواقع أن الدين في طوره الأول لم يكمل له علاقة بالأخلاق، كما أن المبادئ الأخلاقية لم تكن سوى عادات شعبية قد لا تكون لها علاقة بالشعور بالآلهة أو الدين. فقد كانت مظاهر الطبيعة أول ما أشعرت الإنسان المصري بوجود الآلهة مثله في ذلك مثل الشعوب الأخرى القديمة، فالطبيعة أول مؤثر مبكر في عقل الإنسان، فوصفت له العالم الظاهري أولاً بعبارات دينية رهيبة وصارت مظاهر الإلهية الأولى في نظره هي القوى المسيطرة على العالم المادي، فلم يكن في تصوره بادئ أمره معني لمملكة اجتماعية أو سياسية، بل ولا معني لمملكة روحية أكون السيادة العليا فيها للآلهة، وكان أبعد ما يتوهمه عباد إله من هذه الآلهة أن إلههم يحمل في نفسه فكرة الحق أو الباطل أو أنه يرغب في وضع هذه المطالب على كاهل عبادة الذين يرون من جانبهم أن غاية ما يطلبه منهم إلههم هو تقديم القرابين له كما كانوا يفعلون لرئيسهم المحلي سواء بسواء. (برستيد، ص 36، 37، 38)

ثم بعد ذلك تطور الوضع وأصبح الدين له علاقة بالدولة في عهد الاتحاد الثاني\* ( ) وكما هو موضح من النص السابق ذكره أن مفهوم العدالة ذات طابع ديني إلا أن هناك نصوصاً أخرى لحكام مصريين تدل على الطابع الاجتماعي، علي سبيل المثال؛ في التعاليم الموجهة من الملك لابنه مري كارع وهو أحد ملوك الأسرة العاشرة يقول فيها "إياك أن ترفع من شأن ابن العظيم على ابن الوضيع بل أتخذ لنفسك الرجل من أجل كفاءته"، فكرة المساواة (العدالة) هنا بعيدة كل البعد عن أي طابع ديني، فهي دنيوية تماماً وفي الوقت ذاته تكمل ما جاء في النص الديني وتتواصل معه من حيث إن كلا المصدرين مستمدين من روح الماعت. (طلب، 2003، ص 153)

## متون

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية / جامعة سعيدة - د. مولاي الطاهر

ومن ثم فإننا لا يمكن أن نعزو فلسفة الأخلاق المصرية دائماً على الدين، إلا أن الدين قد أثر دون شك في الأخلاق حيث إن روح التوسط والاعتدال التي تميز بها الدين المصري قد انتقلت إلى مجال الأخلاق فأصبحت الأخلاق هي أخلاق العدل، وهي في الدنيا لا تنفصل عن العدل في الآخرة، ذلك أن المعنيين الديني والأخروي متكاملان في مفهوم الماعت (Morenz, p. 129).

مما تقدم يتضح أن مفهوم العدالة (ماعت) بدء كمفهوم فردي ثم اتسع ليصبح مفهوم اجتماعي إلى أن أصبح مفهوماً كونياً شاملاً. فهو مفهوم يجمع بين الدين والأخلاق الاجتماعية وأن كان مفهوم بالمعنى الأخلاقي سابقاً عن كونه مفهوماً دينياً، ومع ذلك فقد تضافر الدين والأخلاق الاجتماعية وكونت أرقى القيم الخلقية التي عرفها الإنسان المصري القديم قبل أي إنسان في أي مجتمع آخر، لكن كيف أثرت فكرة المصري القديم عن العدالة في سلوكه؟

ثانياً/ المفهوم الديني للعدالة وأثرها على السلوك الأخلاقي للفرد

في بادئ الأمر؛ إذا أردنا التعرف على أثر القيم الأخلاقية في سلوك الفرد المصري، لابد من الوقوف على وضع الأسرة في هذا المجتمع لما لها من قدسية خاصة، فقد أوصي الحكماء أبناءهم بتكوين الأسرة، فما هو بتاح حتب( ) والذي عاش منذ نحو 4500 سنة ينصح ابنه قائلاً "إذا كنت رجلاً حكيماً فكون لنفسك أسرة"، ثم جاء من بعده حكيم آخر في عهد الدولة الحديثة يدعي آني( ) والذي عاش منذ نحو 3300 سنة ينصح ولده قائلاً أيضاً "من كان حكيم يتخذ له في شبابه زوجه تلد له أبناء فإن أحسن شيئاً في الوجود هو بيت الإنسان الخاص به". عمد المجتمع المصري القديم دائماً على تمجيد الأسرة والرفعة من شأنها كما عمد إلى تمجيد من يعمل على إرساء أسسها القويمة. (كمال، محرم. ب. ت. ص 133، 134)

لقد أطمئن المصريين إلى تجارب الأب في مجتمعهم، ورجولته في إدارة بيته، فسارو على دربه في حكمهم في أسرهم معبرين عن ذلك بقولهم نهج الولد نهج أبيه. وقد رتب المجتمع على الأب واجبات إزاء الأبناء صورها لنا بتاح حتب فقال "إن عليه أن يلتمس كل شأن فاضل لولده المطيع وأن تري عيناه وتسمع أذناه ما ينفع ولده، وأن يفيد بخبرته ويسعى إلى رفع مستواه كلما استطاع إلى ذلك من سبيل"، وفي مقابل واجبات الأب افترض المجتمع له حقوقاً واسعة على أبنائه أولها الطاعة والاحترام ولم يَأْب عليه أن يقوم سلوك ولده ويأخذ بالشدة إذا ضل. فقد نبه الحكماء الابن إلى أن فضيلته تعود بالنفع عليه، وأن خير ما يمكن أن يرثه من أبيه هو التوجيه إلى تحري العدالة والدعوة إلى التوجه نحو الكمال من أجل نفسه وأجل الناس. (صالح، عبد العزيز. 1961. ص 77، 78، 82)

في المجتمع المصري القديم لم يكن شأن الأم أقل من شأن الأب، إذ أن هذا المجتمع لم ينس أبداً فضل الأم على أبنائها ولا حق الأم على من أنجبته، وهنا يتحدث آني في عبارة بليغة هي وإن كانت بسيطة إلا أنها



## متون

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية / جامعة سعيدة - د. مولاي الطاهر

مليئة بالحكمة والموعظة الحسنة فيقول "أطع والدتك واحترمها فإن الإله هو الذي أعطاه لك، لقد حملتك في بطنها حملاً ثقيلاً ناءت بعبئه وحدها دون أن أستطيع لها عوناً، وعندما ولدت قامت على خدمتك والآن وقد ترعرعت واتخذت لك زوجة وبيتاً فتذكر أمك التي ولدتك وأنشأتك تنشئه صالحه، لا تدعها تلومك وترفع أكفها على الله فيستمع شكواها". فكانت للمرأة المصرية مكانة ممتازة في الأسرة والمجتمع تستمتع فيها بنصيبها الكامل من الاحترام والتقدير، بل أن احترامها واستقلالها في مصر القديمة كان أشد ظهوراً منهما في أي جهة أخرى من جهات العالم القديم، فهي كابنه ترث من والديها نصيباً يساوي نصيب الابن تماماً، وكزوجة فهي سيدة البيت بلا منازع. (كمال، محرم. ص 134، 141)

مما سبق يتضح أن الأسرة بمثابة العامل الأول في زرع القيم الأخلاقية بما فيها العدالة في نفوس الأبناء، فكان السلوك والتوجيه في مصر القديمة بخلاف ما كانت عليه في بعض الأمم القديمة الأخرى، إذ ظلت ترد إلى خبرة الإنسان وتجاربه أكثر مما ترد إلى أوامر السماء ولذلك جاءت بعض تعاليم ونصائح الآباء والمربين المصريين بعنوانين دنيوية معبرة مثل بداية تعاليم الحياة، دروساً من الحياة، وذلك على الرغم من التجائها أحياناً إلى الوازع الديني واعتبار سبيلها أحياناً سبيل الرب، فالمتطلع على الآثار المصرية والنقوش اليومية الخاصة بهم في المقابر، يلاحظ إيماناً عميقاً بالخلود وتصوراً كاملاً عن عالم الآخرة وتدين تام نلمحه في معاملاتهم وفي نصائحهم. فكان لاعتقاد المصريين في الحياة بعد الموت أكبر دافع لهم لعمل الخير وطهارة الذمة، فقد تخيلوا أن نفس الإنسان يحل بالقبر بعد وفاته، ولا يكون بالإحسان والرحمة إليه إلا إذا كان المتوفي ذاته قد أحسن في حياته معاملة الناس والتقرب إليهم بالإحسان والشفقة والخير، حتى إذا ما توفي حفظ لنفسه ذكرى طيبة فيذكر دائماً بالخير والترحم عليه والصلاة لروحه فيعيش سعيداً في آخرته. (بسيوني، عبد الحميد. 1997. ص 34، 63)

فقد أعتقد المصريين في الحياة والخلود في العالم الآخر بعد الموت وهناك رأي سائد أن المصري القديم قد تخيل الحياة الآخرة صورة طبق الأصل من الحياة الدنيا، إلا أن هذا الرأي لا ينطبق تماماً في جزئياته مع الواقع؛ ذلك أن الجزء الأعظم من الوثائق الخاصة بالحياة الآخرة يهتم بالاحتياطات التي كان يتخذها المصريون لضمان الحياة بعد الموت. (حسن، سليم. ب. ت. ص 215) ويمكن معرفة أفكار المصريين القدماء عن الحياة في العالم الآخر من خلال ثلاث مجموعات كبيرة من النصوص كتبت في عهود مختلفة ولكل منها أسلوباً معيناً في كتابتها، هي متون الأهرام التي ظهرت في مقابر ملوك الأسرتين الخامسة والسادسة، ومتون التوابيت كانت تكتب في الدولة الوسطى على الجدران الداخلية لكثير من التوابيت، وكتاب الموتى وهو أوراد تكتب على قرطاس من البردي توضع بجانب المتوفي منذ الدولة الحديثة، ومع أن متون التوابيت وكتاب الموتى يتضمنان على وجه التأكيد كثيراً من الأوراد التي يرجع عهدها إلى أقدم العصور إلا أن متون الأهرام

## متون

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية / جامعة سعيدة - د. مولاي الطاهر

هي التي احتفظت بالطابع الأصلي في أنقى صورة ولذلك؛ فهو أهم المصادر التي نتعرف من خلالها أفكار المصريين في أقدم عصورهم عن الموتى ومصائرهم. (إرمان. 1997. ص 233، 234)

وفي هذه النصوص نجد الفرعون وحده يحيا حياة سرمدية، وعلى الرغم من أن نصوص الأهرام نقوش خاصة بالمقابر، إلا أنه لم يرد ذكر كلمة الموت إلا في صورتين من صور المتن، المرة الأولى لإنكار واقعية تطبيقها على الفرعون، والمرة الثانية لتأكيد أنها قدر محتوم على أعدائه. (توملين. ص 48) ويمكن القول إن الأصول الدينية الخاصة بماعت اكتسبت على مر الزمن صبغة إنسانية ظهرت بظهور فكرة محاكمة الموتى في العالم الآخر، أي فكرة الثواب والعقاب التي كانت لها دلالتان، الأولى الاعتقاد بأن قواعد الأخلاق لها الأولوية على القواعد القضائية أو القانونية الخاصة، ما يفيد بأسبقية الأخلاق وأهميتها على القانون. والثانية هي الاعتقاد بأن العدالة الأرضية ستستمر إلى ما بعد الحياة، أي عدالة الحياة الأخرى. (Morenz. P. 120)

فكانت فكرة المصريين القدماء عن الموت والحياة الآخرة مرتبطة بعمل الإنسان وسلوكه في دنياه بما يفيد بالبعد الأخلاقي لميتافيزيقا الفكر المصري القديم. ففي متون الأهرام نجد أول فكرة عن محاكمة الموتى، فقد جاء في النص أنه يجب على الملك أن يقدم للبحار الذي يسمح للميت أن يعبر إلى الجنة البحيرة المتعرجة شهادة تضمن أنه مستوفٍ لشروط الطهارة اللازمة، وأنه وريث رع غير أن ذلك لم يكن ليعني حتى الآن محاكمة مؤسسة على الأسس الخلقية، إذ الواقع أن الفكرة الخلقية في عالم منظم كنظام الدولة القديمة لا يمكن أن يوجد بعد، فقد كان كل فرد في عالم الدنيا يحتل مكاناً بيروقراطياً معيناً سيجده في عالم الآخرة، يعني أن الوضع الدنيوي هو الوضع في العالم الآخر، وكان أول تغير لهذا النظام البيروقراطي في الأسرة السادسة. (حسن، سليم. ص 228) فكانت الفضيلة والتقوى من أهم ما أوصى به حكماء المصريين، فما هو الملك خيتي (يوجه تعاليمه لابنه مري كارع ويوصيه بأن "الفضيلة وتقوى العبد الصالح أحب للإله من ثور يقدمه شيرير". (إرمان. ص 180) وفي ذلك اعتراف صريح بقيمة الحياة الصالحة في نظر الإله وهو لا يقبل أن تحل الهدايا عنده محل الأخلاق. كما ينبه الميك ابنه ويذكره بالحساب بعد الموت على أفعاله فيقول لولده "إنك تعلم أن القضاة الذين يحاسبون التعساء لا تعرف قلوبهم الرحمة يوم محاكمة الأشقياء والنطق بالحكم، وإنه لمشهد رهيب أن يوجه أحد الحكماء الاتهام، فلا تضع ثقتك في الزمن الذي يمضي مهما طال، فالحياة بالنسبة للقضاة لا تتعدى ساعة زمن فعندما يصل المرء إلى شاطئ الموت توضع أفعاله بجواره أكوام إنه خلود الأبدية". (جريمال. 1993. ص 188)

معنى ذلك أن الفرعون لم يحظ بالخلود والمكافأة بالنعيم كأمر تلقائي، وإنما بناءً على أفعاله في هذا العالم والتي ينبغي أن توزن بميزان العدالة. وقد تخيل المصريون القدماء مشهد الحساب يتم بوضع قلب

## متون

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية / جامعة سعيدة - د. مولاي الطاهر

المتوفي في إحدى كفتي الميزان وفي الكفة الأخرى ريشة النعامة التي توضع على رأس الإله ماعت إلهة العدالة، فإذا كان قلب المتوفي ملئاً بالذنوب يكون ثقيلاً وإذا كان ملئاً بالماعت يكون خفيف مثل الريشة (Assaan.J). (2004. P. 8) أن حكمة الملك خيتي ذلك الحكيم المتوج لم تفقد تأثيرها بعد انتهاء أسرته بزمن طويل فقد وجد أحد الأشراف كتبها لنفسه على شاهد قبره في عهد الأسرة الحادية عشرة إذ يقول "لقد سمعت أفواه الناس تنطق بتلك الحكمة التي توجد في أفواه العظماء إن فضيلة الرجل هي أثره الباقي ولكن الرجل صاحب السمعة الرديئة يكون نسياً منسياً". معنى ذلك أن الذي يعيش بالماعت يتذكر ويذكر، فهي تعطي له وعداً بالبقاء في وقت لا يتبقى فيه إلا الذكريات). برستيد. ص 173، (Assmaan.p.10)

مهما يكن من أمر فإن نشأة الاعتقاد بأن النعيم في جميع صورته يتوقف على ما للإنسان من الصفات الخلقية في الحياة الدنيا على أن هذا النعيم يوفي يحصل عليه بعد امتحان قاسٍ أمام إله الآخرة أوزير، هذا الامتحان صورته لنا الفصل الخامس والعشرون بعد المائة من كتاب الموتى، ويعتبر هذا الفصل أهم فصول الكتاب لأنه يضع أمامنا صفحة جديدة عن المسؤولية الخلقية للفرد أمام ربه والناس. (حسن، سليم. ص 228) يصف هذا الفصل وصول المتوفي إلى قاعة العدالتين الكبرى ويدور حوار بينه وبين الحارس ويقدم الحارس المتوفي إلى المعبود تحوتي الذي يسأل المتوفي، لماذا أتيت؟ فيجيب المتوفي جئت لأعترف، ويسأله تحوتي وما موقفك؟ فيجيب؛ أي بريء من الإثم ثم صنت نفسي عن مشاكل أهل الزمان وليس منهم. أما المحاكمة الفعلية فتبدأ عندما يدخل المتوفي قاعة الحساب، وهي في كتاب الموتى في ثلاث روايات نذكر إحداها والتي تصور دخول المتوفي قاعة العدالة أو الصدق بعد تطهيره من كل الذنوب التي اقترافها ثم يوجه نظره إلى المعبود أوزير ويحبه ويعلن معرفته باسمه وأسماء الاثنين وأربعين معبودا الذين معه في قاعة العدالة ويعلن براءته وإنه بريء من كل الخطايا وهو أول شرط للتمتع بالجنة ويبدأ كل جملة بأداة النفي (لم) وهو ما يمكن أن نسميه الاستبراء لأنه يتبرأ فيه من اقترافه لجميع أنواع الآثام والمعاصي التي يمكن أن يرتكبها الإنسان في حياته الدنيا فهو منها براء (.) (عبده، رمضان. ب. ت. ج. 2. ص 345، 346). (Morenz, p. 130)

فكان يقول "أني لم أرتكب ظلماً ضد البشر، لم أسئ معاملة الناس، لم أرتكب شراً، لم أبخس الفقير في رزقه، لم أسبب المأ للأحد، لم أتسبب في بكاء أحد، لم أقتل ولم أتلاعب في الميزان ولم أغش في القياس بالأرورو، لم أغش الأراضي، لم أغش في الوزن، .... إلخ"، وبعد الانتهاء من هذا الاستبراء يعلن طهارته بقوله أنى طاهر - طاهر - طاهر. (بارجية. 2004. ص 134: 140)

كل إنسان كان يردد هذا الأسلوب من الاستبراء كي يستطيع أن يكرره فيما بعد أمام محكمة أوزير حامى الآخرة والعالم السفلي وهي لم تكن مجرد جمل تردد دون هدف ولكن تشير إلى حقيقة التفكير وروح

## متون

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية / جامعة سعيدة - د. مولاي الطاهر

العصر وطريقة السلوك الذي يجب أن يتبعه الإنسان في حياته على الأرض ربما كانت تلك المعايير الخلقية السامية التي تكشف عنها أقوال المتوفي في حديثه للمعبودات دافعاً قوياً لأن يسلك المرء سلوكاً حسناً في المجتمع المصري القديم. (عبده، رمضان. ص 350) على أن الذين يخفقون في هذا الامتحان لا يدخل مملكة أوزيريس وفي هذا حد الكفاية من البؤس والشقاء لأنهم يظنون في مقابريهم يظنون الجوع والعطش، وكما أن المذنب يلقي في محاكم الدنيا عقوبة خاصة تخيل المصريين ان يكون في زمن متأخر على وجه التحقيق بعض العقوبات للميت الذي لم يقدم التبرير. (إرمان. ص 259)

لكن إذا كان الملك يتمتع وحده بالجنة السماوية كما هو وارد في متون الأهرام، فأين توجد جنة عامة الشعب؟

تدل متون الأهرام على أن جنة الشعب على الأرض فتقول النصوص إن الملك الراحل خوطب بالقول التالي "عن مائك مأواه السماء أما الآلاف فمأواهم الأرض"، ويقصد بكلمة ماء هنا النطفة التي يخرج منها نسله وذريته وهؤلاء مصيرهم جنة السماء، أما أفراد الرعية الذين يحكمهم الفرعون فكان مصيرهم الأرض. (حسن، سليم. ص 217)

وهناك بعض الإشارات في المتون الجنائزية توجي إلينا بأن جنة عامة الشعب كانت على الأرض فقد كان يظن حتى نهاية الأسرة الخامسة تقريباً أن مركز هذه الجنة هو حقل القربان الذي يظن أن موقعه كان بلده هليوبوليس عين شمس وهذه البقعة المباركة تعتبر المركز الرئيسي لعبادة الإله رع الذي كان القوم يزعمون أنه أول من حكم الدنيا ناشراً العدل والمساواة بين الجميع بقانون ماعت الذي سنه ولكنه تولى عن الحكم الدنيوي لابنه ورفع نفسه إلى السماوات العلى وكان من جراء ذلك أن رفعا معه حقل قربانه إلى العالم العلوي وأصبح مأواه الأبدى السماء وهناك كان ينعم ابن رع (الملك) بعبشة راضية في حقول قربان والده، أما عامة الشعب فقد ترك لهم حقول القربان التي على الأرض في هليوبوليس. إلا أن هذا الامتياز الخاص بالملك أخذ يشارك فيه في نهاية الدولة القديمة الأسرة المالكة ورجال البلاص بوصفهم أهل حاشيته ثم لم يمض زمناً طويلاً حتى نهض عامة الشعب عن بكرة أبيهم وقاموا بثورة اجتماعية دينية وطالبوا بالتمتع بالأخرة السماوية، فأصبحت حقاً مشاعاً لكل أفراد الشعب على السواء، أي أخذت المبادئ الديمقراطية الدينية تنتشر غير أن هذا الانقلاب الديني على ما يبدو لم يأت فجأة بل أتى تدريجياً. (حسن، سليم. ص 218:220، فرانكفورت. ص 128)

على أي حال لقد مرت فكرة الخلود بمعني تقديم عميق في الفكر المصري حتى كانت تعتبر بمثابة مكافأة لأي شخص ذي نزعة مستقيمة "إن من يأتي إلى العالم الآخر دون أن يقترف إثماً سوف يحيا كأنه إله ويستمر في عيشه حر كسادة الأبدية". (توملين. ص 56) أن الأساس الأخلاقي التي صبغ أدب الحكم الجنائزية

## متون

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية / جامعة سعيدة - د. مولاي الطاهر

هو احترام التوازن الذي تجسده الإلهة ماعت، إنها تملك المعيار الذي يحدد مدى استقامة سلوك البشر على الأرض وطبق المصريين هذه الصورة تطبيقاً حرفياً. (جريمال، نيقولا. ص 196) فكانت فكرة العدالة عند المصريين القدماء لم تقتصر على ارتقاء السلوك الخلقي للفرد فقط بل كانت هي مبدأ الترابط الاجتماعي والسلوكي وتحافظ على الوقت والمجتمع معاً (Assaaan. P. 10).

السؤال الآن كيف انتقلت هذه الفكرة من الفرد إلى المجتمع؟

ثالثاً/ مصر الفرعونية وفكرة العدالة الاجتماعية

لقد كانت فكرة العدالة مطلباً أساسياً في كل عصر من عصور مصر، وإننا نستطيع أن نلمس فكرة العدالة الاجتماعية في عهد الدولة القديمة من تعاليم بتاح حتب إذ يقول لولده "إذا وجدت رجلاً يتكلم وكان فقيراً أي ليس مساوياً لك فلا تحتقره لأنه أقل منك بل دعه وشأنه، ولا تخرجه لتسر قلبك ولا تصب عليه حام غضبك، فإذا بدا لك أن تطيع أهواء قلبك فتظلمه فأقهر أهواءك، لأن الظلم لا يتفق مع شيم الكرم". كما يقول له أيضاً "إذا أصبحت عظيماً بعد أن كنت وضيعاً، وصرت غنياً بعد أن كنت فقيراً فلا تنسى ما كنت عليه في الماضي ولا تفخر بثروتك وتستكبر فإنك لست بأحسن حالا من رفاقك الذين حل بهم الفقر". (كمال، محرم. 1998. ص 33، 30) ومن الجدير بالذكر أن ذلك الحكم ما زالت موجودة في وقتنا الحالي في التراث الشعبي أو ما يسمى بالأمثال الشعبية، توارثتها الأجيال المصرية جيل بعد جيل.

يبدو واضحاً من أقوال الفيلسوف الحكيم إنه لا فرق بين الغني والفقير، وإذا أصبحت غنياً بعد أن كنت فقيراً إن ذلك لا يعطيك الحق في أن تتكبر على فقير وتحتقره، فالكل سواء وإن دل ذلك فإنه يدل على حضور فكرة المساواة الاجتماعية وما أحوجنا إليها اليوم. إلا أن تلك المساواة لم تكن ظاهرة بوضوح في عهد الدولة القديمة والتي انهارت في فوضى عارمة وانجرفت قيم المكانة والملكية في تيار طاغٍ من العنف والاعتصاب، وقد عزا المصريون بعض ويلاتهم إلى تمزق وانحيار خلقهم. (فرانكفورت. ص 119)

في ظل هذا الانحيار ظهر ما يسمى بالأدب التشاؤمي والاتجاه العدمي المتشكك، ولعل أروع ما نجده من هذا الأدب هو وثيقة كاره البشر، تلك الوثيقة التي فقد منها اسم مؤلفها، لذلك أطلق عليها برستيد حوار عدو البشر مع نفسه. (برستيد. ص 183) كان كاره البشر سابقاً لعصره في رفض قيم هذه الدنيا الإيجابية من أجل القيم لسالبة المرجوة من نعيم الآخرة. (فرانكفورت. ص 143)

إن القيمة الأخلاقية لهذا النص ليست كامنة في مجرد تجسيده للتيار التشاؤمي أو العدمي الراض لقيم عصره، فالنص لا يكتفي بمجرد الرفض للقيم السائدة لأن هناك قيماً أخرى يؤمن بها ويتمنى لها أن تسود، ولكن مثل هذه القيم غائبة ولا أمل في إرجاعها ومن ثم فإن كاره البشر ينطلق في عدميته من أساس

## متون

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية / جامعة سعيدة - د. مولاي الطاهر

لا يمكن أن نصفه بأنه سلبي رافض أن وراء السلب أفكار أخرى إيجابية وتصور ضمني لما ينبغي أن يكون، لكن هذا الواقع جعل هذا التصور يبدو مستحيلاً استحالة تامة ولذا فقدت الحياة قيمتها وأصبح الموت هو الخلاص، فمن يدري؟ لعل القيم الغائبة عن هذه الدنيا تكون موجودة هناك في الحياة الآخرة فيتحقق العدل المنشود وتسود القيم المبتغاة. فالحياة الإنسانية عند كاره البشر لا يمكن أن يبرر استمرارها إلا على أساس أخلاقي (العدل) فإذا فقد هذا الأساس تصبح الحياة مستحيلة ولا تطاق (Frankfort. P.87).

تتكون وثيقة كاره البشر من أربع قصائد؛ الأولى تصف لنا مقت العالم بغير الحق لاسم هذا التعيس إذ يقول فيها "لمن أتحدث اليوم؟ إن اسمي ممقوت أكثر من رائحة اللحم النتن في أيام الصيف، غن اسمي ممقوت أكثر من رائحة السمك في يوم صيد تكون فيه السماء حارة" ما يفيد بنبذ المجتمع لهذا الشخص. وفي القصيدة الثانية ينتقل كاره البشر من وصف نفسه إلى وصف المجتمع الذي يسوده الغش والظلم وعدم الوفاء حتى بين الأقرباء فيقول "لمن أتحدث اليوم؟ الإخوة سوء وأصدقاء اليوم ليسوا جديرين بالحب. لمن أتحدث اليوم؟ الرجل المهذب يهلك و صفيق الوجه يذهب في كل مكان" وفي ذلك إشارة لرفع شأن الحقير في حين أن الشخص الجدير بالاحترام يهلك ليس له مكان). برستيد ص 185، 186 (Frankfort. P.86) /

أما القصيدة الثالثة فهي أنشودة في مدح الموت، نجد فيها تأملات في مميزات الموت والتي سنجدها حاضرة بعد 1500 سنة فيما ذكره أفلاطون عن أستاذه سقراط. ولكنها شكوى لرجل حاق به الظلم، فيقول "لمن أتحدث اليوم؟ الموت أمامي اليوم، كمثل رجل يشترق لرؤية منزلة بعد أن قضى سنين في الأسر"، وفي ذلك دليل واضح لقيمة الموت فهو ليس فقط مجرد انتهاء فترة حياة بل هو بداية للحياة الأبدية والتي ينعم فيها المتوفي بالخلود حيث الأخلاق والقيم والفضيلة (Frankfort. P.87).

وفي القصيدة الرابعة والأخيرة يختتم ذلك البائس كلامه بالالتجاء إلى العدالة في الآخرة وبذلك جعل من الموت مدخلاً إلى قاعة المحاكمة وكان عليه أن يذهب إليها بأسرع ما يمكن فيقول "إن الذي هنالك سيقبض على المجرم كإله حي ووقع عقاب السوء على من اقترفه" وفي ذلك إشارة إلى أن انعدام العدل والمساواة في الدنيا لا يعنى انعدامها في الآخرة، بل إن تحقيقه أمر حتمي في العالم الآخر. (برسيد ص 198/ فرانكفورت ص 122، 123 / جرمال ص 189، 190)

لقد كان كاره البشر فاقد الأمل في تحقيق العدالة في الدنيا ومع ذلك فقد كان هناك من حاول تحقيق العدالة المطلوبة وعودة قيمتها ومكانتها في الحياة الدنيا من خلال رجل حكيم يستطيع نشرها على الأرض. وهنا نصل إلى إيبور ( ) ذلك الحكيم الذي كان من موظفي الخزانة الذين يعملون في الدلتا، ويبدو أنه قدم إلى العاصمة بنفسه ليقدم تقريره للبلاط الملكي عن حالة البلاد المالية، قدم إيبور أقواله في ست قصائد شعرية فيها جوهر الموضوع نفسه، فهو يصف حالة البلاد وما حل بها من فساد، كما أنه لم يتوان في توجيه

## متون

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية / جامعة سعيدة - د. مولاي الطاهر

اللوم والنذر للملك فيقول "لديك الحكمة والبصيرة والعدالة ولكنك تترك الفساد ينتشر في البلاد، والمعارك الواحد يضرب الآخر، لقد كذبوا عليك فالبلاد تشتعل كالحقش الملتهب والناس على شفا الهلاك، وهذه السنوات كلها سنوات حرب أهلية". ما يفيد بانتشار الفساد الاجتماعي والسياسي والذي سيؤدي حتماً بانهيار البلاد، ويفيد ذلك أيضاً أن الانهيار الأخلاقي يؤول بالضرورة إلى انهيار الأمم وزوالها. لم يقف إيبور عند مواجهة الملك بحالة الفساد الأخلاقي، ولم يقتر على التنبؤ بمجيء حاكم أعدل منه يحق الحق ويعلى من شأن القيم، بل حمل الملك كامل المسؤولية عن التدهور الأخلاقي الذي فت في عضد البلاد. وينهي إيبور حديثه مع الملك بقوله "إن الأمر الملكي والمعرفة والعدالة في قبضة يدك ولكن من تصنعه في البلاد هو النزاع وصوت القلاقل لقد نطقت زوراً وبهتاناً". لقد كانت هذه هي المرة الأولى التي يتجرأ فيها المفكرون الأخلاقيون على الفرعون نفسه بدافع من غيرتهم على القيم العليا والمثل الإنسانية مما جعل هذه اليوتوبيا مشهورة لدى الباحثين في المصريات باسم تحذيرات إيبور، ذلك الشخص الجريء الذي لم يخش سلطة الملك واقفاً أمامه مندداً بما اقترفه في حق البلاد والعباد. (محرم، كمال. ص 51: 57 / برستيد. ص 214)

وفقاً لما سبق يتضح أن إيبور يربط العدالة الخلقية بشخص واحد هو الحاكم، وتحمله المسؤولية الكاملة عن حماية الفضيلة والأخلاق. ولم تكن هذه هي الرؤية اليوتوبية الوحيدة لدى المفكرين في ذلك العصر، بل إننا نجد مفكرين آخرين يقيمون تصورهم الإصلاحية على أساس من الإصلاح الشامل الذي لا يقف عند مجرد تعليق المسؤولية الخلقية الكبرى على شخص واحد مهما كانت طبيعة هذا الشخص، بل تطلع إلى ما هو أبعد من ذلك إلى إصلاح خلقي على مستوى واسع، يقيم ما اعوج من أخلاق أعضاء المجتمع، لا سيما الموظفون والإداريون القائمون على أمور الناس (طلب، حسن. 2003. ص 172، 173)، وهذا ما نجده في نص شهير لفلاح مصري يسمى الفلاح الفصيح ويرجع تاريخه إلى عهد الدولة الوسطى، وموضوع هذا النص يتلخص في شخص فصيح يلقي تسع خطب في ثوب شكاوى تعد من أروع ما قيل بسبب حادث ظلم وقع عليه، ومحور هذه الخطب مدح العدل وذم دناءة الموظفين (بسيوني، م. ع. ص 92)

يروى نص الفلاح الفصيح قصة فلاح بسيط يسمى خونانبو يزرع قطعة أرض صغيرة في وادي النطرون وفي أحد الأيام عزم على حمل إنتاجه من المحاصيل الزراعية إلى وادي النيل للتجارة وشراء ما يلزمه لإعاشة أهله، وفي طريقة إلى العاصمة مر بمنزل تحوتي نخت أحد موظفي رنزي المدير العظيم لبيت الملك، طمع نخت في حمير الفلاح فدبر له مكيدة كي يستولي عليها، وبالفعل استطاع نخت الاستيلاء على حمير الفلاح ومن هنا بدأت مأساة الفلاح والذي وجد هلاك أسرته جراء ما حدث. لم يسكت الفلاح على ما حدث له ومكث بباب تحوتي نخت أربعة أيام يرجو فيها حميره ولكن دون جدوى، وعندما علم بشهرة عدالة رنزي المدير العظيم لبيت الملك، ولي وجهه شطر المدينة ليشتكوا إليه ما حاق به، ولحسن حظ الفلاح صادف

## متون

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية / جامعة سعيدة - د. مولاي الطاهر

المدير العظيم وهو يتأهب لركوب قاربه فأخذ يقص عليه ما أصابه بلغة فصيحة مما استرعى سمعه، فأرسل إحدى خدمه ليسمع قصته ولما عاد وأخبر رنزي بسرقة تحوتي للحمير، عرض رنزي الموضوع على زملائه من الموظفين، وكان جوابهم يتفق مع ما يحدث في مثل هذه الأحوال، وهو تحامل الموظف على الفقير في الدوائر الحكومية مهما كان الحق في جانبه، وعند سماع الفلاح بموقف الموظفين تقدم إلى رنزي وأخذ يقص عليه شكايته بفصاحة ولباقة. (جيميز. 1997. ص 61: 64)

يحقق الفلاح مطلبه في سلسلة من تسعة أحاديث طويلة كل واحدة منها أبلغ وأجرأ من السابقة عليها، وفيها يذكر كبار الموظفين حتى الملك بواجباتهم، ولكي يعبر الفلاح عن وجهة نظره يؤكد حقيقة أن العدالة لا تقوم على الميل أو الهوى الإنساني، بل لكونها أزلية تبقى برغم وجود الإهمال والفساد وهو يعلن قائلاً "إن العدالة ماعت هي كل ما هو أزلي تهبط مع من ينتهج سبيلها إلى القبر" (توملين. ص 66) كما يذكر رنزي باليوم الآخر يقول له "خذ حذرك لأن الأبدية تقرب، أوقع العقاب على ذلك الذي يستحق العقاب، لن يوجد شيء يشبه نهجك الصائب هل تخطئ الموازين؟ أن لسانك هو مؤشر الموازين وقلبك هو المثقال وشفتك هما ذراعها". تظهر كلمة الموازين مراراً وتكراراً في خطب الفلاح لتوضيح أن إجراء العدل يوجد بين الطبقة الحاكمة. (برستيد. ص 201، 202) بعد انتهاء الفلاح من تقديم شكواه يأمر رنزي بالحكم في القضية، فاقتادوا تحوتي إلى المحكمة ومع أن السطور الأخيرة من النص غير واضحة والجزء بمنطوق الحكم مفقود إلا أنه يفهم من سياق النص أن نخت تم تجريده من كافة ممتلكاته ليأخذها خونانبو كتعويض عما لحقه من ضرر. (جيميز. ص 64 / المرزوقي، جمال. 2000. ص 153: 159)

تلقي قصة الفلاح الفصيح الضوء على الأفكار الشائعة في ذلك العصر وان ما يثير الاهتمام في هذه القصة هو على الرغم من أن موضوعها الرئيسي هو العدالة لم يرد بها على الإطلاق أبسط اقتراحا بقلب نظام الحكم وان الموظفين الجائرين يجب استبدالهم بموظفين عادلين، بمعنى أن الفلاح لم يأمل بأن يكون أكثر من فلاح، أي الرضا بالوضع الاجتماعي. (توملين. ص 66) المتأمل في النزعات الخلقية الإصلاحية السابقة يجد قسم مشترك بها وهو أن جميعها تنشد العدل باعتباره أساساً للأخلاق ومعياراً للقيم، وعندما نقول إن العدل معيار للأخلاق المصرية فإن هذا يعنى الجانبان الفردي والاجتماعي لهذه الفضيلة، وهذا يصدق على سائر الأفكار الأخرى التي انتشرت في ذلك العصر المتردي وأهمها الأفكار المنتشرة في الحكم والنصائح والوصايا فهي تنطلق جميعها من الرغبة الملحة في إقرار فضيلة العدالة على المستويين الفردي والاجتماعي. (طلب. ص 174)



## متون

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية / جامعة سعيدة - د. مولاي الطاهر

بناء على ما تقدم يمكننا القول إن انحلال الدولة والانحطاط الأخلاقي لا يسير دائماً مع انحطاط العقل، فكما هو واضح أن الفترة التي انهارت فيها الأخلاق وأصبح يستهان بالعدالة لم تكف فيها المحاولات الباحثة عنها وثبتت دعائمها المفقودة.

تعد محاولات هؤلاء المصلحين الاجتماعيين خطوة أولى في توطيد العدالة الاجتماعية التي وجدت منفذاً عملياً للظهور أولاً، في الملكية المثلى ثم بعد ذلك في أخلاق الفرد المكلف بإقامتها انعكست صورتها على أخلاق إله الشمس ونشاطه وهو الملك الأمثل. إن وجوب المحافظة على العدالة الاجتماعية التي أخذ الناس يشعرون بها في قرارة أنفسهم قد صار أمراً إلهياً، واعتقد في الحال أن مقت أنفسهم للظلم هو نفس مقت الإله للظلم وبذلك صارت مثلهم العليا في الأخلاق هي كذلك مثل الإله، فاكتسبت بهذا المظهر الجديد قوة مسيطرة جديدة. يرجع تأثير المثل العليا للعدالة الاجتماعية والتي وجدت سبيلها إلى الحكومة بدرجة كبيرة إلى الشكل الذي انتشرت به بين كل طبقات الشعب. (برستيد. ص 230، 231)

إن تلك المساواة الاجتماعية ظهرت بوضوح في عهد الدولة الوسطى والتي أدركت في بحثها عن الحياة الصالحة قمة عالية من الأخلاق. وبالعودة إلى النص السابق ذكره والذي يتضمن القول بأن الناس خلقوا جميعاً متساويين بالفرص وان الماء والهواء متاحان بالتساوي للبشر كافة، ليس الماء والهواء فقط بل إن العالم الآخر والأبدية أيضاً حق للجميع. (فرانكفورت. ص 125، 127)

وهنا يظهر بوضوح تضافر وتداخل النص الديني والأخلاق والحكم الاجتماعية الدالة على العدل والمساواة بين الجميع. وعلى أية حال؛ لم ينظر للعدالة في مصر باعتبارها امتيازاً يتمتع به الأغنياء والأقوياء، بل فتحت العدالة صدرها حتى لأدنى الناس فكانت المساواة حقاً مكفوفاً للجميع بين يدي العدالة إلى حد ما. وباختصار كان توافر العدالة من التطلعات الموروثة في كل المجتمعات إلا أن تحقيقية هو الذي كان مفقوداً في بعضها. (جيميز. ص 61)

### رابعاً مصر الفرعونية وتحقيق العدالة السياسية

أن تحقيق العدالة الاجتماعية لا يمكن فصله عن المجتمع السياسي، فكما سبق وذكر أن بعض الحكماء ربطوا تحقيق العدالة الاجتماعية بوجود حاكم عادل ينشر العدل بين الناس كما أن رجال الدولة ابتداءً من الملك ورجال البلاط هم القدوة لغيرهم من عامة الشعب، ففي الوثائق القديمة نجد الحكماء يوصون الوزراء بإقامة العدل وأن يقوموا بأعباء ووظائفهم، وها هو بتاح حتب يوصي ولده الذي سيقوم بمهام وظيفية بأن يحافظ على العدالة قائلاً له "إذا كنت في صحبة جماعة من الناس وكنت عليهم رئيساً ولشئونهم متولياً فعاملهم معاملة حسنة حتى لا تلام وليكن مسلكك معهم لا يشوبه نقص، أن العدل عظيم طريقة سوية مستقيمة هو ثابت غير متغير، انه لم يتغير منذ عصر الإله خالقه، من يخالف القوانين

## متون

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية / جامعة سعيدة - د. مولاي الطاهر

يعاقب ومن استحل حقوق الناس حراماً أخذ معه الحلال وذهب ما كان الشر يوماً بموصل مقترفه إلى شاطئ الأمان، قد يحصل المرء على شيء من الثروة عن طريق الشر ولكن قوة الحق تبقى ثابتة". أيضاً يقول له " إذا كنت زعيماً على قوم فتصرف في شئونهم بما تقضين به قواعد القوانين والأنظمة، إذا كنت حاكماً فكن عطوفاً مستأنياً عندما تصغي إلى شكوى مظلوم ولا تجعله يتردد في أن يفضي إليك ما بدخيلة نفسه، بل كن به رفيق ولحاجته قاضياً ولظلمة مزيل، اجعله يسترسل في كلامه حتى تقضى له حاجته التي أتى من أجلها فإنه إذا تردد في أن يفضي إليك بما يجيش في صدره، قيل ان القاضي يظلم من لا يستطيع لظلمه دفعاً". (كمال، محرم. 1998. ص 35، 30)

يبدو واضحاً من النص السابق مدى عمق هذه التعاليم والأهداف النبيلة التي ترمي إليها، فبتاح يحذر ابنه من أكل الحرام لأنه يأخذ الحلال معه، كما ينبهه إلى مهام الحاكم وصفاته، فلا بد وأن يكون عطوفاً رحيماً وعادلاً يستمع لشكوى المظلوم أي كان طبقته وأن يزيل عنه ظلمه حتى لا يلام بعد ذلك. ولعل أهم ما يمكن أن يوصي به الوزير أثناء تنصيبه هو أن يحكم بالعدل لأن التحيز يعد طغيان على الإله وأن يعامل من يعرفه كمن لا يعرفه والمقرب من الملك كالبعيد عنه. (برستيد. ص 224)

لم تكن تعاليم بتاح حثب هي الفريدة من نوعها، فهناك فحوى هذه التعاليم في النصائح الموجهة إلى مري كارع حيث يقول الملك ناصحاً ابنه "ارفع من شأن مستشاريك وأغدق عليهم بالثروة ما يكفهم لأن الرجل الغني في بيته لا يتحيز ولكن الرجل الفقير لا يتكلم حسب العدل، لأن الذي يقول ليت لي لن يكون محايداً بل ينحاز إلى الشخص الذي يحمل في يده العطية" (برستيد. ص 168) وفي تلك الوصية إشارة إلى فكرة الحياة الكريمة فالإنسان الذي لديه ما يكفيه من متطلبات الحياة سوف يحكم بالعدل أما الفقير الذي يفتقد وجود ضروريات الحياة فإنه يكون بانتظار الرشوة وبالتالي لا يحكم بالعدل .

يكمل الملك حديثه لولده ليعرفه واجبات الحاكم فيقول "أقم طوال حياتك على وجه الأرض وواسي الحزين ولا تظلم أرملة ولا تطرد رجلاً مما كان يمتلكه أبوه ولا تلحق ضرراً بالقضاة فيما يتصل بمناصبهم وكن حذراً مدققاً حتى لا تظلم أحداً أو تعاقبوا دون وجه حق" "لا ترفع من شأن ابن الرجل العظيم على ابن الرجل الوضيع، بل اتخذ لنفسك الرجل حسب أعماله وكفاءته" (كمال، محرم. ص 72) ومن النصوص السابقة يتضح الحرص على المساواة بين الجميع في المعاملة وان اختيار الرجل من أجل منصب ما يكون على أساس الكفاءة وليس على أساس طبقي.

هناك نص آخر مسجل في الدولة الوسطى يعتبر أكثر شمول ووضوح موجه إلى الوزير رخ مي رع لتثقيفه وتعريفه بمهامه وبالأساليب التي عليه أن يتبعها في أداء وظيفته الرفيعة. والتعاليم حسب إيضاحات الملك تحوتمس لوزيرته تحتوي على مبادئ عامة في فلسفة القانون مستندة إلى مبادئ وأصول

## متون

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية / جامعة سعيدة - د. مولاي الطاهر

يجب تقريرها: تقدير الواجب - توفير العدل بين الناس والمساواة في نظر الحقوق - القضاء المفتوح العلني - الالتزام بالقانون - أيضاً بها توجيهه بالا يتعدى الوزير حدود اختصاصاته وأن يكون محايداً في تطبيق القانون. (جيمز. ص 47، 50)

يقول تحوتمس موجهاً كلامه للوزير "لا تنسى أن تحكم بالعدل لأن التحيز عدوان على الآلهة، عامل من تعرفه كمن لا تعرفه، والمقرب من الملك كالبعيد عنه، اعلم أنك سوف تصل إلى تحقيق الغاية من منصبك، إذا جعلت العدل رائدك في عملك، أن الناس ينتظرون العدل في كل تصرفات الوزير، وهي سنة العدل المعروفة منذ أيام حكم الإله في الأرض". (المرزوقي، جمال. 2000. ص 145)

لابد من الإشارة إلى أن تشريعات مصر القديمة كانت جزءاً منها مصدرها المعبودات مما زاد احترام الشعب لها والعمل على تطبيقها، وتشريعات مصدرها الملك فكان له حق التشريع وان أوامره لها قوة القانون ولكنه هو لول الناس التزاماً بها، فكان يظهر في النقوش ملتزماً بالحياد التام تجاه أحكام القضاة الذين يضعون أحكاماً قضائية لها قوة التشريع وطبقاً لما ذكره بلوتارخ كان الملك يطلب من القضاة بالا يطيعونه إذا كانت أوامره ظالمة أي تتضمن ما يؤدي إلى خرق التشريعات. (عبده، رمضان. ص 233) ولهذا كان الملك هو منبع العدالة لأنه هو مصدر لكل السلطات (Frankfort. p. 43). ومما يؤكد هذا الرأي ويدعمه أن اليمين الذي يحلفه القاضي بمناسبة تعيينه يتضمن عدم إطاعة الملك إذا أمره بفعل أي معصية وكان يصير الملك على أداء القاضي لهذا اليمين عند توليه مهام وظيفته. لقد أدرك المصريون القدماء بفطنتهم وذكائهم أن العدالة أساس حماية واستقرار المجتمع وأن عدم سلامة منظومة القضاء يهدد أمن المجتمع وسلامته.

إن واجب العدل الذي كان يقع على عاتق الملك، لم يكن مجرد واجب أخلاقي، وإنما واجب ديني وسياسي في الوقت ذاته، على الرغم من كون الفرعون إله، إلا أن صعوده إلى السماء عند موته لم يكن يتم بصورة آلية، وإنما مشروط بأن يكون قد قضى حياة فاضلة قام من خلالها بواجباته نحو الآلهة الكبرى ونحو البشر. فكان الملك شأنه شأن البشر يسأل عن أفعاله يوم الحساب، وعليه أن يدافع عن تصرفاته أمام قضاة العالم الآخر. (المرزوقي. ص 146)

وبالرغم من ان الوثائق القانونية نادرة حيث لا يوجد دليل نقلي عن وجود قانون في مصر القديمة وكان أول قانون مدون في عهد الأسرة العشرين (Frankfort. p. 44)) إلا أن ليس معنى ذلك أن مصر لم تعرف الأنظمة القضائية إلا في عهد متأخر وإنما كان الفرعون هو المصدر الحي للقانون، فكان يحكم بمراسيم توضع موضع التنفيذ كأنها قرارات موحى بها وقد يكون هذا السبب في ندرة الوثائق القانونية والإدارية. (فرانكفورت. ص 105)

## متون

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية / جامعة سعيدة - د. مولاي الطاهر

إن المدقق النظر في عبارات الملك الموجهة للوزير سيجدها تركز على العنصر الأخلاقي. كما أن دور الوزير يركز في مباشرة كل شئون الدولة الإدارية في أدق صورها (النظام المدني، النظام الضريبي، النظام المعلوماتي، الشئون الإدارية، الزراعة، الحكم المحلي، الأحوال المعيشية، القضاء المدني وهو أهم الموضوعات التي اهتمت به النصوص، هذه الاختصاصات شاملة للغاية وتغطي معظم مشاكل المجتمعات القديمة والحديثة). (جيمز. ص 56)

يعد الموظف المصري رجلاً مثالياً محترماً للسلطة القائمة وعادلاً لأن ماعت التي تعني الحق والعدل والبر جزءاً من ذلك النظام الدنيوي الذي يتزعمه الملك، فكان الرجل الصامت الحكيم يدرك جيداً أنه منسجم تمام الانسجام مع العالم الذي يعيش فيه، فكان الجميع في مصر القديمة تحت تصرف الحاكم الإلهي وموظفيه، وكان باستطاعة أي شخص أن يستأنف إليه ويطلب بما هو حق ماعت (العدالة، الصواب، الحق). لم يكن في المجتمع المصري القديم أي طبقات منبوذة بل كان باستطاعة أناس من أصل وضيع أن يرتقوا إلى رفعة المراكز، وتعد سيرة أوني الذي كان في خدمة ثلاثة ملوك متتاليين من الأسرة السادسة توضح أنه باستطاعة أصغر الموظفين أن يرتقوا إلى أعلى المناصب عندما تظهر قدرته ونزاهته، لم يوجد في مصر القديمة نبذ الموهوبين من أجل فارق طبيعي أو لوني، كما كان يمكن للنوبي الذي يدعو نفسه بالبانميسى أي النوبي أو الزنجي أن يحتل أعلى المراكز. (فرانكفورت، ص 109: 113)

أعتقد المصريين القدماء أن هناك صلة وثيقة بين القوانين الدنيوية والقوانين الدينية، وتلخص مفهوم (ماعت) العدالة في أمرين: الأول، أن الدولة موجودة لتتحقق الماعت. ثانياً، أن ماعت يجب أن تتحقق ليصبح العالم قابلاً للسكنى، وفي ذلك إشارة ضمنية أن الكون دون الماعت لا يصلح للحياة، فهي أساس الكون وهي القانون الكلي الشامل لهذا الكون. للكون

عرف المصري القديم الأنظمة القضائية والتي كانت من أدق الأنظمة بوجه عام وذلك للوصول إلى العدالة الحقيقية فالكل سواء أمام القانون، قامت القوانين المصرية على مبدأ احترام الإنسان وكرامته في حياته، فلم يفرق بين الحر والعبد بصدد العقاب على ارتكاب الجرائم، كما كان هناك احترام للإنسان بعد وفاته أيضاً. بالإضافة إلى ذلك شاع مبدأ احترام المعتقدات الدينية وحرية العقيدة للإنسان فله أن يتعبد لأي معبود في إقليمه دون الإساءة إلى حرمة المعبودات وعقيدة الغير. وبالمبادئ الثلاثة هذه قامت فلسفة العدالة والتشريع بوجه عام. (عبده، رمضان. ص 235، 236) على مدار تاريخ مصر القديمة لم يكن هناك تمييز اجتماعي بين الرجال والنساء، ولا عبودية بشرية وكان هذا ممكناً بسبب ماعت حجر الأساس في الفلسفة المصرية (Obenga. 2004. P. 46)).

## متون

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية / جامعة سعيدة - د. مولاي الطاهر

لقد مر على مصر ثلاثة عصور لم يرق خلالها أي محاولة لقلب النظام القائم، أن ذلك يدل على توفير العدالة للجميع، ولأن انهيار الأمم يسبقه انهياراً أخلاقياً ولأن مصر عاشت فترات طويلة من الاستقرار الاجتماعي فإن ذلك أصدق دليل على تمسك مصر القديمة بمبادئ الأخلاق السامية ولعل في مقدمتها فضيلة العدالة (ماعت). فهذا المفهوم من الناحية التاريخية ذو أهمية بالغة، يمثل التدبير الصحيح للكون وشئون البشر، إنه محاولة لتلخيص فلسفة المصريين عن الحياة في شكل متناسق اسطوري.

لقد كان مفهوم ماعت بلورة لأفكار لا حصر لها في المجال الديني والدينيوي، واعتمد استمراره على بقاء هذه الأفكار، ومع ذلك فإن استمرار ماعت بذاته باعتباره تقريراً شكلي عن المعتقدات المصرية ساهم في دوام الأفكار والمواقف التي بني عليها هذا المفهوم. (مجموعة من المؤلفين. 2000. ص 21) ماعت هي الحق والعدالة والبر والصواب، هي أسمى مفهوم للقانون الطبيعي والأخلاقي عرفه قدماء المصريين، فكانت الإلهة ماعت تجسداً للقانون والنظام والحكم والحقيقية والحق والعدل والاستقامة والضمير والكمال. تم بناء الحضارة المصرية على هذا المفهوم الشامل مع خصوبة معانيها الكبيرة، ماعت هي أسلوب حياة. ومن ثم يمكن فهم ماعت على أنها فلسفة أخلاقية متعالية أنها بالفعل إلهية، والملك قائد إلهي معني بالمبادئ الإلهية التي تحكم العالم والمتجسدة في ماعت أي النظام الكوني الحقيقية والعدالة والقوة الروحية. (Obenga. 2004. P. 47)

2004. P. 47

خاتمة

هكذا نرى أن العدالة من أبرز القيم المكونة لنسيج الحضارة المصرية، إنها حضارة أخلاقية في المقام الأول حيث ناقش المصريون القدماء القيم والمبادئ الأخلاقية على أساس عقلائي (القلب) نابع من التمييز بين الخير والشر ثم توجيه سلوك الفرد للخير والابتعاد عن الشر، هذا الأساس العقلائي نما وتوسع على الأساس الديني فكونا أعظم قيم أخلاقية عرفها التاريخ. فقد ناقش المصريون القدماء القضايا الأخلاقية وتم التمييز بين الصواب والخطأ والإعلاء من شأن الخير ودم كل ما هو شرير سابقين في ذلك عظماء فلاسفة اليونان سقراط وأفلاطون، وعن مصادر الإلزام الخلق في مصر القديمة فقد تعددت وتنوعت ما بين العقل والدين والمجتمع والقانون فجميعها مصادر ساعدت على إثراء الحياة الخلقية في مصر القديمة مما ساعد على استقرار وتقدم المصريين القدماء في مختلف المجالات.

كانت ماعت مطلباً في كل فترات التاريخ المصري، فكانت على قمة القيم الأخلاقية للمصريين، فهي النظام الذي يسير به العالم وهي باقية وخالدة منذ الأزل. فكانت ماعت دائماً تعطى وعداً بالبقاء لمن ينتهج سبيلها، فالدين والدولة وذكرى الفرد الطيبة في حياته وبعد وفاته لم يكن لهم بقاء دون الماعت، لذلك كانت المثل الأعلى الذي سعي المصريين من أجل تحقيقه. ومثلما كانت العدالة مطلباً في كل الفترات التي مرت بها

## متون

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية / جامعة سعيدة - د. مولاي الطاهر

مصر، كان الظلم مرذولاً ومكروهاً، فكان الشر مكروهاً من قبل الإله ونهي عنه مقابل حبه للعدالة والأمر بها، هذه الصبغة الدينية لمفهوم العدالة جعلت المصريين يشعرون بقداسته وضرورة الالتزام به.

لمفهوم الماعت بالغ الأثر على سلوك الفرد الأخلاقي، حيث عرف المصريون القدماء جيداً أن حصول المرء على الخلود والأبدية في العالم الآخر لم ولن يتم دون سلوك قويم، لذلك حرص المصريون على أن يسلكوا سلوكاً طيباً في حياتهم وقد تم تسجيل نهجهم على جدران المقابر بأنهم لم يتسببوا في ضرر أو ظلم أحد. وكأنهم سجلوا ما كان يفعلونه كي يسير على نهجهم من يأتي بعدهم.

أيضاً انتقلت العدالة من سلوك الفرد إلى المجتمع فأصبحت هي المطلب الذي يسعى المصريون لتحقيقه على المستوى الاجتماعي، إلا أن تاريخ مصر كله لم يكن ملتزماً بجادة الماعت بل كان هناك فترات انهيار أخلاقي وسياسي ولكن ظلت ماعت في تلك الفترات هي ضالة الحكماء ما يشير إلى أن الانهيار الخلقي لا يصاحبه دائماً انهياراً في العقل والتفكير، فكانت هناك محاولات لتوطيد فكرة العدالة الاجتماعية وهو ما تم تحقيقه في عهد الدولة الوسطى التي بلغت فيها الأخلاق قمة ذروتها. أيضاً ماعت هي مصدر التزام السلطة لذلك أوصي الملوك أبناءهم ووزراءهم بالالتزام بالحياد والعدالة والمساواة بين الجميع وعلى القضاة دفع الظلم عن المظلومين وبذلك استقر المجتمع المصري القديم لفترات طويلة من الزمان.

إن ما جاء في السطور السابقة يضرب على وتر السلوك والأخلاق عند المصريين القدماء من خلال النصوص والتعاليم والنصائح، ولنا أن نتساءل اليوم كيف استطاع مصريون السبعة آلاف سنة أن يرسموا نهجاً سلوكياً طيباً نابعاً عن أصالة أخلاقية ضاربة في عروق هذا الشعب؟ وأين نحن مصريون القرن الحادي والعشرين الميلادي من هؤلاء الأجداد؟

لقد تركوا لنا آثارهم كي نسير على نهجهم ولكن وللأسف يحق لنا القول كما قال أدولف إرمان "أيا مصر، يا مصر، لن يبق من عقائدك غير قصص وروايات لن تصدقها الأجيال المقبلة ولن تبقي غير كلمات على الحجر تحكي أعمال تقواك"

### References

- Assmaan. D. (2004). Confession in Ancient Egypt. Trans by (S E P S) Peeters. Paris.
- Frankfort. H. (1961). Ancient Egyptian Religion. New York.
- Morenz. A. (1973). Egyptian Religion. Trans by Keep. A. E. Methuen. London.
- Obenga. T. (2004). A Companion to African Philosophy. Edited by Kwasi Wiredu. Black Well.

## متون

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية / جامعة سعيدة - د.مولاي الطاهر

### المراجع العربية

- إرمان، أدولف. (1997). ديانة مصر القديمة. ترجمة: أبو بكر، عبد المنعم. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
  - بارجية، بول. (2004). كتاب الموتى للمصريين (ط 1). ترجمة: زكية طبوزاده. دار الفكر للدراسات والنشر.
  - برستيد، ج. هـ. (2001). فجر الضمير. ترجمة: سليم حسن. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
  - بسيوني، محمد عبد الحميد. (1997). آداب السلوك عند المصريين القدماء. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
  - توملين. (ب. ت.). فلاسفة الشرق (ط 2). ترجمة: سليم، عبد الحميد. دار المعارف.
  - جريمال، نيقولا. (1993). تاريخ مصر القديمة (ط 2). ترجمة: جويجاتي، ماهر. دار الفكر للنشر.
  - جيمز، ت. (1997). الحياة أيام الفراعنة. ترجمة: أحمد زهير. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
  - حسن، سليم. (ب. ت.). تاريخ الحضارة المصرية القديمة (العصر الفرعوني). مكتبة النهضة المصرية.
  - سارتون، جورج. (ب. ت.). تاريخ العلم (ج 1). ترجمة: عدد من العلماء. دار المعارف.
  - صالح، عبد العزيز. (1961). الأسرة في المجتمع المصري القديم. دار القلم.
  - طلب، حسن. (2003). أصل الفلسفة (ط 1). عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.
  - عبده، رمضان. (ب. ت.). حضارة مصر القديمة (ج 1، 2). مطابع وزارة الثقافة المجلس الأعلى للآثار.
  - فرانكفورت، هـ. (1982). ما قبل الفلسفة (ط 3). ترجمة: جبرا إبراهيم جبرا. المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
  - فرانكفورت، هـ. (ب. ت.). فجر الحضارة في الشرق الأدنى. ترجمة: ميخائيل خورى. بيروت - نيويورك. مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر.
  - كمال، محرم. (ب. ت.). تاريخ الحضارة المصرية (العصر الفرعوني المجلد 1). مكتبة النهضة المصرية.
  - مجموعة من المفكرين. (2000). مصر القديمة التاريخ الاجتماعي. ترجمة: بقطر، لويس. المجلس الأعلى للثقافة.
  - محرم، كمال. (1998). الحكم والأمثال والنصائح عند المصريين القدماء (ط 2). الهيئة المصرية العامة للكتاب.
  - المرزوقي، جمال. (2000). الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي. (ط 6). دار الهداية للطباعة والنشر.
- والتوزيع.
- ولسون، جون. (ب. ت.). الحضارة المصرية. ترجمة: أحمد فخري. مكتبة النهضة المصرية.